# صورة الشخصية اليهودية في المسرحيات المصرية

ذاكرة جهانتاب

**مقدمة**

كتب الدارسون العرب عن صورة اليهود في الأدب العربي منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى أواسط القرن العشرين، خاصة من أمثال الرواد "توفيق الحكيم ويحيى حقي وسهيل إدريس والطيب صالح"[١]، كما كتب دارسون غربيون عن صورة الأوربي فى الأدب العربي. وأبرز هؤلاء الدارسين جورج طرابيشي[٢] الناقد اللبناني، وروتراود فيلاندت[٣] الأستاذة في جامعة بامبرغ[٤] في ألمانيا، دراسات قصيرة نشرت في كتب صدرت عن مؤتمرات جامعية هنا وهناك في عمان وفي دمشق وفي بيروت وفي القاهرة.

وإذا كانت الكتابة عن اليهود برزت في كتابات كتَّاب عرب، فإنها منذ بداية المشكلة الفلسطينية ومع صدور "وعد بالفور"، بدأت تبرز بشكل لافت ومكثف في كتابات الأدباء الفلسطينيين. بدأت في

---

١- عادل الأسطة، **اليهود في الرواية العربية**، "جدل الذات الآخر"، الناشر: رام الله، فلسطين، ط١، ٢٠١٢م، ص ٨.

٢- جورج طرابيشي (George Tarabishi) (١٩٣٩-١٦مارس ٢٠١٦م)، مفكر وكاتب وناقد ومترجم عربي سوري. من مواليد مدينة حلب له مؤلفات هامة في الماركسية والنظرية القومية وفي النقد الأدبي للرواية العربية التي كان سباقًا في اللغة العربية إلى تطبيق مناهج التحليل النفسي عليها. جورج- طرابيشي /http://ar.wikipedia.org/wiki

٣- اسمها يكتب بالإنجليزية (Router Wood Filandad).

٤- اسم هذه الجامعة يكتب بالإنجليزية (Bemberg university).

الشعر منذ ١٩١٣م، وفي النثر منذ ١٩٢٠م تاريخ صدور أول رواية فلسطينية لخليل بيدس[٥]. ومنذ ذلك العام بدأت الكتابات تتوالى، لتبرز في الأدب الفلسطيني أكثر من ظهورها في الأدب العربي[٦].

وإذا كان هناك أدباء عرب أبرزوا فيما كتبوا شخصيات يهودية، بعد قيام دولة إسرائيل، وكتبوا عن يهود عرب، ومن أبرز هؤلاء الروائي المصري إحسان عبد القدوس، فإن كتَّابا آخرين بارزين مثل نجيب محفوظ وعلي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني، وعبد الرحمن الشرقاوي ومحمد محمود زيتون وجمال عمر وأحمد الطاهر، ألفوا الكتب الكثيرة عن قضية فلسطين واليهود.

سنتناول الآن هذه الشخصية اليهودية من حيث الصورة النفسية السلبية والصورة النفسية الإيجابية في المسرحيات المصرية الآتية:

١- **جهاد النبي**، لمحمد محمود زيتون[٧]
٢- **وطني عكا**، لعبدالرحمن الشرقاوي[٨]
٣- **شعب الله المختار**، لعلي أحمد باكثير[٩]
٤- **الفئران**، لأحمد الطاهر[١٠]
٥- **مقهى الحرية**، لجمال عمر[١١]
٦- **محاكمة الأسود العنسي**، لنجيب الكيلاني[١٢]
٧- **إله إسرائيل**، لعلي أحمد باكثير[١٣]

**المبحث الأول: الصورة اليهودية النفسية السلبية**

الأدباء المصريون الذين رسموا صفة يهودية، وهي صفة سلبية متوارثة نشأت في أزمنة كانت العلاقة فيها بين العرب والمسلمين وبين اليهود سلبية، وميز بين يهودي ويهودي.

واستطاع الكتّاب رسم ملامح وسمات الشخصية اليهودية السلبية، وتتفق هذه الملامح مع

---

٥- وُلد الأديب خليل بيدس في مدينة الناصرة عام ١٨٧٤م ـ ١٩٤٩م، وكان كاتبا و أديبا ومترجمًا، حيث تميز بترجمته البليغة من الروسية إلى العربية، فضلا عن كونه واحدًا من الأسماء اللامعة في مجال القصة الفلسطينية.
خليل بيدس/http://ar.wikipedia.org/wiki

٦- عدنان محمد وزان، **اليهود في مسرحيات شكسبير وباكثير**، الناشر: الدار السعودية، ص ١٠٥.

٧- محمد محمود زيتون، **جهاد النبي**، الناشر: مكتبة مصر.

٨- عبدالرحمن الشرقاوي، **وطني عكا**، الناشر: دار الشرق.

٩- علي أحمد باكثير، **شعب الله المختار**، الناشر: دار مصرية ومكتبة مصر.

١٠- أحمد الطاهر، **الفئران**، الناشر: الهيئة المصرية، ١٩٨٨م، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١١- جمال عمر، **مقهى الحرية**، الناشر: الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.

١٢- نجيب الكيلاني، **محاكمة الأسود العنسي**، الناشر: دار ابن حزم.

١٣- علي أحمد باكثير، **إله إسرائيل**، الناشر: دار القلم، القاهرة، ١٩٦٠م.

الشخصية اليهودية في معظم المسرحيات العربية.

وقد صدرت في موضوع القضية الفلسطينية في المسرحيات المصرية عدة دراسات، والواقع أنها كلها دراسات علمية جادة على جانب من الأهمية في إثارة سؤال اليهود في أعمال الأدباء الأدبية، غير أن ما يغلب عليها هو انشغالها بمسألة زيادة كتّاب في طريق موضوع القضية الفلسطينية حتى قبل قيام الكيان الصهيوني ـ وهي مسألة مهمة بكل تأكيد ـ كما شغلت هذه الأعمال باستعراض جُلِّ أعمال الأدباء التي تناولت اليهود، والتمييز بين ما جاء موضوعهم عن القضية الفلسطينية وما جاء فيها التعرض لليهود بطريقة غير مباشرة أو رمزية، وكذا عناية الأدباء المصريين بعرض اليهود بصورة موضوعية غير متجنية ولا مغرضة، إذ لم يقتصر على تصوير الشخصيات اليهودية التي تمثل الجانب الشرير وحده، بل عرض للكثير من الشخصيات اليهودية الإيجابية التي ترفض الحركة الصهيونية، التي تقوم على مبدأ التمييز العنصري وترفض المقوّمات التي قامت عليها دولة إسرائيل.

إن الصفة التي يرسمها الأدباء المصريون في مصر لليهود في غالبيتهم، تبدو سلبية في المطلق، فصفة اليهودي، الخبير بنفسياته هي مجموعة من النقائض(١٤). بدأ بالكذب والتحريف والحسد، والتحايل والمراوغة والمزاجية والاستهزاء والخيانة والضلال والفجور والسفاهة والإذلال والجبن والبخل والحرص على الحياة، ونقض العهود والمواثيق والمسارعة إلى الإثم والعدوان وكتم الشهادة والإفساد في الأرض إلى الصد عن سبيل الله حتى أصبحت ملعونة حكمت عليها بالنية والتشريد وألقى العدواة والبغضاء بينهم وضرب الذلة والمسكنة عليهم(١٥). سنحاول الآن بيان الملامح والسمات السلبية للشخصية اليهودية بالتفصيل.

**١- الخيانة والغدر**

يقدم الكاتب محمد محمود زيتون في مسرحيته **جهاد النبي** الملامح والسمات السلبية للشخصية اليهودية ويقدم اليهود الذين يحفل تاريخهم بالغدر والخيانة والمؤامرة والتحريش وإثارة الفتن و نقض العهد.

ويصور الكاتب يهود بني النضير ـ وهم حلفاء الخزرج قبل الإسلام ـ وكانت ديارهم بضواحي المدينة وكان نقضهم العهد بأنهم تآمروا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك عندما ذهب إليهم

---

١٤- انظر: صلاح الدين عبد الفتاح الخالدي، **الشخصية اليهودية من خلال القرآن، تاريخ وسمات ومصير**، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧م، ص ١١-١٢.

١٥- المصدر السابق، ص ١١-١٢.

صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه، وكلمهم أن يعينوه في دية الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ، وطلب منهم صلى الله عليه وسلم بناء على المعاهدة التي بينه وبينهم، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم، اجلس هنا حتى نقضي حاجتك. فجلس صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم، وخلا اليهود بعضهم إلى بعض، وسوّل لهم الشيطان سوءا، وتآمروا على قتله صلى الله عليه وسلم، بأن يصعد أحدهم الجدار فيلقي عليه صخرة كبيرة فيقتله، فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره الخبر، فقام صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم وكان ذلك في السنة الرابعة بعد غزوة أحد، وأمر اليهود بالخروج، وتحصنوا بحصونهم، فحاصرهم صلى الله عليه وسلم قرابة خمسة عشر يوما، فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم بالخروج من المدينة وأن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح، فبدؤوا بحمل أمتعتهم، وبدؤوا يخربون بيوتهم بأيديهم، فخرجوا من المدينة إلى خيبر ذليلين صاغرين نتيجة غدرهم وخيانتهم.

واستمد الكاتب هذه الصورة النفسية السلبية لليهود من الآية القرآنية كما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾(١٦).

ثم يقدم الكاتب هذه الصورة النفسية السلبية لليهود في الحوار الآتي:

"**أبو بكر**: يا بني النضير، جئناكم عسى أن تعينونا على دية رجل من بني عامر وآخر من بني سليم قتلهما عمرو بن أمية ولا علم له بعهد النبي وأمانه وجواره لهما.

**عمر**: فهل أنتم فاعلون؟ (بنو النضير ينظرون إلى النبي)

**حي**: (للنبي) نعم يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت، مما استعنت بنا عليه، وقد آن لك أن تزورنا، اجلس تكرم، وترجع بحاجتك.

(النبي يجلس، ويسند ظهره إلى بيت... يخلو بعضهم إلى بعض... والمسلمون مطمئنون إلى ذلك).

**حي**: (لقومه) يا معشر يهود، قد جاءكم محمد في نفر من أصحابه لا يبلغون عشرة، فاطرحوا عليه حجارة من فوق هذا البيت الذي هو تحته فاقتلوه، فلن تجدوه أخلى منه الساعة، فإنه إن قتل تفرق عنه أصحابه، فلحق من كان معه من قريش بحرمهم، وبقي من هاهنا من الأوس والخزرج حلفاؤكم، فما كنتم تريدون

---

١٦- سورة الحشر، الآية: ٢.

أن تصنعوا يومًا من الدهر، فمن الآن، فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه.

أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة قاتلة.

**سلام**: يا قوم أطيعوني هذه المرة، وخالفوني الدهر، والله لئن فعلتم فعلتكم هذه لَيُخْبَرَنَّ بأنا قد غدرنا به، وهذا يقضي العهد الذي بيننا وبينه، فلا تفعلوا، فوالله لو فعلتم الذي تريدون ليقومن بهذا الدين منهم قائم إلى يوم القيامة يستأصل يهودًا ويظهر دينه.

**حي**: بل نقتله ونأخذ أصحابه أسارى إلى مكة فنبيعهم من قريش، ونستهلك كل ما لديهم من مال، ونوقع بعضهم في بعض.

**سلام**: لا تفعلوا... والله ليخبرن بما هممتم به.

**ابن جحاش**: لن نسمع لك يا سلام.

(يهيِّئ الصخرة ويحدرها ليرسلها على النبي من أعلى... النبي تملكه البرحاء...).

**جبريل**:..... ؟ ..... !

(ينهض ويخرج)... !... !...

**كنانة**: لِمَ خرج محمد من بَيْنِنا؟

**ابن جحاش**: (في حيرة) لعله يقضي حاجة... ثم يعود...

**كنانة**: ولكنه أبطأ.

**أبو بكر**: ما مقامنا هنا بشيء، لقد وُجِّهَ رسول الله لأمر.

**علي**: فقوموا (يقومون)

**حي**: (لقومه) يا بني النضير... عَجَّلَ أبو القاسم، قد كنا نريد أن يقضي حاجته ونفديه.

**ابن جحاش**: أفلت منا إلى الأبد.

**كنانة**: هل تدرون لم قام محمد؟

**ابن جحاش**: لا ندري... وما تدري أنت؟

**كنانة**: والتوراة إني لأدري أن قد أخبر محمد بما هممتم به من الغدر، فلا تخدعوا أنفسكم، والله إنه لرسول مبعوث، وما قام إلا أنه أخبر بما هممتم به، وإنه لآخر الأنبياء.

(النبي بالمدينة... الصحابة يعودون إليه)

**محمد**: هل لقيتَ رسول الله يا هذا؟

: نعم لقيته بالجسر داخلاً.

**أبو بكر**: فالحمد لله

: إلى أين يا محمد بن مسلمة.

**ابن مسلمة**: دعاني رسول الله، وإني لمجيبه

(الصحابة يدخلون على النبي)

**أبو بكر**: يا رسول الله، قمتَ ولم نشعُر

**النبي**: همت يهود بالغدر بي، فأخبرني الله بذلك فقمتُ، (لابن مسلمة) اذهب إلى يهود بني النضير فقل لهم: اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها، وقد هممتم به من الغدر، وقد أجلتكم عشرا، فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه"(١٧).

**٢- الإرهاب**

عرض الكتّاب لتاريخ اليهود الإرهابي على مرّ الزمان، فقد تم عرض الملامح الإرهابية للشخصية اليهودية لتؤكد لنا أن الإرهاب صناعة يهودية، حيث صور الكاتب عبد الرحمن الشرقاوي في مسرحيته **وطني عكا** منذ صفحاتها الأولى في عرض صورة الإرهابي اليهودي، يقول يعقوب ـ ضابط إسرائيلي كبير من أصل فرنسي ـ في بداية المسرحية:

"**يعقوب**: (للضابط والمجندات) فلنباغت كل ما عندهم من طائرات

وهي في جوف الحظائر...

اجعلوا سينا جحيما للجيوش الزاحفة

املأوا بالرعب قلب الناس في كل مكان في المدن اسحقوا من غير رحمة...

دمروا من غير رجعة

هكذا ننقذ إسرائيل من تهديدهم

هكذا نبني لإسرائيل مجداً لا يزول

هكذا يرجع ملك الجامعة"(١٨).

وهكذا نرى في الموقع الآخر يقول "علي" (ضابط مصري) في صفحاتها المتوسطة في تقديم صورة الإرهابي اليهودي، قائلاً:

---

١٧- محمد محمود زيتون، **جهاد النبي**، مكتبة مصر، ص ١٠٦-١١٠.

١٨- عبد الرحمن الشرقاوي، **وطني عكا**، دار الشرق، ص ٣٩.

"**علي**: كنا نسير بلا غطاء.

كان الجحيم أمامنا و وراءنا

وقنابل "النابالم" تسقط فوقنا

كتل من النار الرهيبة لست أعرف كيف توصف...

سيل من اللهب اللزج

كانت كطوفان تأجج"(١٩).

والكاتب جمال عمر أيضًا عرض صورة الإرهابي اليهودي في مسرحيته **مقهى الحرية والسجين** ولاحظنا إبراهيم (مجاهد فلسطيني).

قائلاً: آه يا أحمد (لحظة صمت)... كانت الساعة الثانية ليلًا فجر العاشر من نيسان عام ١٩٤٨م وإذا بقرار ظالم لاجتياح قرية "دير ياسين" واحتلالها دون أي اعتبار لمشاعر إنسانية أو غيرها... وقد شارك في تلك الهجمة الصهيونية الشرسة عناصر من عصابات... "أتسل" بالإضافة إلى عناصر من إرهابي "الهاغاناة" و"البالماخ" وكانت مهمتهم اقتحام "دير ياسين" من الشرق إلى الجنوب. في نفس الوقت كانت عصابة "شيترون" تتحرك بسيارتين مصفحتين وضع عليهما مكبر للصوت تصدر منه بعض العبارات التي تحمل التهديد، وتحث الأهالي على الفرار والهروب. وهي عبارات من قبيل.

أنكم مهاجمون بقوة أكبر منكم. إن المخرج الغربي لدير ياسين الذي يؤدي إلى "عين كارم" مفتوح أمامكم فاهربوا منه سريعًا وأنقذوا أرواحكم. (لحظة صمت) كانت الأوامر الإرهابية تقضي بتدمير كل بيت عربي. وكل من يلقوه داخل أي بيت عربي يقتل ويسحل بأقدام الصهاينة. حتى تم احتلال القرية بالكامل، ولم تكتف هذه العصابة بكل ما فعلوه في هذه القرية الآمنة. فجاءت وحدة بقيادة "ينشورين شيف" لكي تحفر قبرًا جماعيًّا داخل القرية تم فيه دفن مائتين وخمسين جثة أكثرهم من النساء والشيوخ والأطفال"(٢٠).

**٣- الاضطهاد والظلم**

يستخدم اليهود مع الفلسطينيين أسلوب تقييد الحرية عن طريق زج أعداد كبيرة منهم في السجون، وفي العادة يقتاد المعتقل إلى السجن بطريقة مرعبة، حيث يداهم بيته في ساعة محرجة من الليل

---

١٩- نفس المرجع، ص ٥٧.

٢٠- جمال عمر، **مقهى الحرية والسجين**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ٢٨-٢٩.

من قبل الجنود المدججين بالسلاح، فيؤخذ وتقيد يداه وتعصب عيناه ويتعرض للضرب بأعقاب البنادق، ولكمات الأيدي، ورفسات الأرجل، كما أنه يتعرض بعد فترة انتظار للتحقيق، فإذا لم يعترف يصب عليه جميع أنواع العذاب البدني والنفسي.

وهكذا كما عرض الكتّاب المصريون جوانب الاضطهاد والظلم في مسرحياتهم، ويصور الكاتب عبد الرحمن الشرقاوي في مسرحيته **وطني عكا** الاضطهاد والظلم اليهودي مع أهل فلسطين، ويقول يعقوب (ضابط إسرائيلي كبير من أصل فرنسي).

"**يعقوب**: أيها الجند، احشروا الناس جميعًا، احشدوا كلهم من دون تمييز صغارًا وكبارًا ونساءً ورجالًا.

وضعوهم كلهم في غرف التعذيب كي يعترفوا.

ويعودوا فيروا قريتهم صارت خرابًا"(٢١).

ويقدم الكاتب جمال عمر في مسرحيته **مقهى الحرية والسجين** جوانب الاضطهاد والظلم اليهودي مع "سلمى" هي شخصية فلسطينية غائبة داخل الزنزانة، ومن نموذجه في المسرحية، وفتاتان إسرائيليتان تتحدثان عن سلمى بشيء من الاهتمام والخوف في داخل فناء السجن:

"**راشيل**: أين تقع زنزانة سلمى محمود؟

**ناتا**: زنزانة رقم ٤٨ في نهاية الممر

**راشيل**: كيف حالها الآن ؟

**ناتا**: أقوى من كل يوم.. إنسانة غريبة الأطوار..

**راشيل**: ماذا تعنين من هذه الجملة ؟

**ناتا**: كأن السجن يصهرها داخل بوتقة المحن.. فتصبح صلبة.. لذلك أطلقنا عليها المرأة الفولاذ..

**راشيل**: (باستخفاف) ما هذا الذي أسمعه الآن من سخافات..

**ناتا**: هذا واقع يا حضرة القائد راشيل.

**راشيل**: أنتم لا تدركون كيفية التعامل مع هذه الأشكال..؟

**ناتا**: استخدمنا معها كل ألوان التعذيب...

**راشيل**: (بشيء من التهكم) أي تعذيب تقصدين..؟

(باستخفاف) تعذيب الجسد؟

---

٢١- عبد الرحمن الشرقاوي، **وطني عكا**، ص ١٧٧.

**ناتا**: كل ما يخطر بذهن القائد راشيل.

**راشيل**: من الواضح أنني سأتولى أمرها من اليوم..

**ناتا**: وبهذا الأمر والاهتمام أشعر بأن هناك نوعًا من التغيير..

عسى أن تعترف بالخلايا السرية التي تتعامل معها..

**راشيل**: لا يعنيني هذا الآن.

**ناتا**: (وبشيء من الاستغراب) ولكن ماذا يعني القائد راشيل؟

**راشيل**: أن أقتلها نفسيًا.. أن تموت معنويًا أولًا.. وعندما أحقق هذا لا يصبح للجسد أهمية..

**ناتا**: (تسأل) هل ترى القائد راشيل أن القضبان لا تفعل ذلك؟

**راشيل**: في ذهني خطة تختلف تمامًا عما فعلتموه معها...

**ناتا**: (تسأل) ماذا تتضمن هذه الخطة؟

**راشيل**: اتركيني أمارسها أولًا حتى أجني النتيجة..

**ناتا**: (تسأل) ومتى تبدأين في تنفيذها..؟

**راشيل**: (بكل ثقة) اليوم يا ناتا أو الليلة.. والقمر الحزين ينثر شعاعه الخافت ينير لها

جوانب زنزانتها الموحشة"(٢٢).

وكذلك يقدم الكاتب أحمد الطاهر في مسرحيته **الفئران** صورة الاضطهاد والظلم اليهودي مع أهل فلسطين، ويصور الكاتب "المكان قد دخلت عليه بعض الأواني وأدوات التعذيب المختلفة، فصار أشبه بقبوة من قبوات التعذيب في السجون الرديئة.. هناك بعض الجنود الغلاظ الوجوه يتصدرهم موشى يلاحظ أن الفتى عزام مشدود الوثاق إلى الحائط وهو في شبه إغماء بينها آثار التعذيب واضحة على جسمه و وجهه وثيابه، الأم مثبتة في المقعد وقد تورّمت وجنتاها واحتقنت عيناها وتطاير الكثير من شَعر رأسها، أما وائل فهو كالمصلوب فاقدًا لوعيه وقدماه لا تصلان للأرض.. رغم اهتزازهما..."(٢٣).

ويصور الكاتب جوانب الاضطهاد والظلم اليهودي في مسرحيته ويقدم الشخصية اليهودية "رابين" ـ جنرال إسرائيلي ـ قائلًا:

"**رابين**: (في برود) إنك عربي.. هل تفهم..؟

---

٢٢- جمال عمر، **مقهى الحرية والسجين**، ص ٦١-٦٢.

٢٣- أحمد الطاهر، **الفئران**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ٥٩.

**وائل**: على أنني طوع أمركم كما تعلمون.. إن تجارتي وقف على جنودكم..

**رابين**: لابد أنك تربح كثيرًا؟

**وائل**: لا بأس من الربح يا سيدي.. (يهم بالجلوس)..

**رابين**: (يوقفه بالعصا ثم يداعبه بنهايتها المدببة)

وابنك أما زلت مصرا على عدم معرفتك لمكانه؟

**وائل**: (في ألم) والله ما أعرف شيئًا..

**رابين**: أ لك زوجة يا..

**وائل**: وائل.. أنا وائل يا سيدي التاجر بالساحة القديمة..

**رابين**: أعرف.. أعرف

**وائل**: هلا تركتني أعود إلى أهلي لابد أنهم قلقون.

**رابين**: أهلك (ضاحكًا) تقصد زوجتك..

**وائل**: أجل يا سيدي..

**رابين**: لك زوجة وصبي مشاغب..

**وائل**: إنه صبي يا سيدي.. ليس ألا..

**رابين**: وزوجتك.. أهي جميلة؟

**وائل**: (في تعثر) لا.. بأس بجمالها..

**رابين**: زوجة جميلة وصبي مشاغب ومال وفير..

لابد أنك سعيد بحياتك يا وائل..

**وائل**: لا بأس يا سيدي..

**رابين**: (يداعبه بقسوة بالعصا المدببة) قل إنك سعيد..

**وائل**: (في شدة الألم وهو يكاد يبكي) أنا.. أنا سعيد..

**رابين**: (يغرس العصا في رقبته بقوة) سعيد جدا..

**وائل**: (في منتهى الألم) ســـــ.. ســـــ.. سعيد جدا.."(٢٤).

وهكذا استمر أدوات التعذيب ويأخذ رابين وائل وابنه عزام مع الأم ـ "راوية" ـ مجاهد ـ أحد

---

٢٤- أحمد الطاهر، **الفئران**، ص ٣٨-٣٩.

قادة الفدائيين ـ إلى السجون الرديئة، ونرى في هذه المسرحية زفاتي ـ ضابط إسرائيلي ـ قائلًا:

**زفاتي:** أيها التاجر.. هل تسمعني؟.. أين هربت زوجتك؟..

انطق..

**وائل:** لا.. أعرف.. شيئًا..

**زفاتي:** (يصفعه على وجهه).. أيها القذر كنتَ هنا ما الذي أخبرها بذلك فهربت؟..

**وائل:** (لا يرد)..

**زفاتي:** تكلم أيها الكلب قبل أن يخرج القائد..

وإلا أخرستك.. للأبد..

**وائل:** (في ألم قاتل) ليس عندي ما أقول.. أيها الجندي الوضيع..

**زفاتي:** (قد استشاط غضبًا) وضيع.. وضيع أيها العربي (يهوى عليه بقبضة يده فيزيد من الدماء النازفة من فمه) سأحطم أسنانك هذه..

**عزام:** (يصرخ في أعياء)

**زفاتي:** (زفاتي ينتبه ثم يقهقه فجأة) ها أنت مرة أخرى أيها الشيطان الصغير..

**عزام:** لست شيطانًا.. يا رمز العفن القديم..

**زفاتي:** (يقترب منه وهو يستل سيخا محمى من كوة النار التأججة أن لسانك أطول مما ينبغي يا صغيري..

**راوية:** (صارخة) لا.. دع الصبي بحق السماء..

**زفاتي:** (وهو يحرك السيخ المحمى أمام عيني الصبي) هل تخافين عليه يا امرأة؟..

**راوية:** (باكية) دع الصبي.. إنه في عمر أبنائك.. دعه..

**زفاتي:** (لعزام) ماذا قلت يا صغيري؟..

**عزام:** (لا يرد)

**زفاتي:** هل أسكتك هذا.. لا.. لا.. أهذه شجاعتكم.. يا صغار المخربين..

**عزام:** ما أسكتني سيخك.. ولكن أكره أن أحدث فأرًا مثلك..

**زفاتي:** (يكاد أن يغرس السيخ المحمى في صدر الفتى) سأسكتك للأبد.."(٢٥).

---

٢٥- أحمد الطاهر، **الفئران**، ص ٦٢-٦٣.

٤- **الاغتصاب و ضياع القيم**

قد صور الكتّاب المصريون اليهود في مسرحيتهم شعبًا لا يلتزم بالأخلاق والقيم.

لقد كان باكثير رحمه الله حريصًا على تعرية الشخصية اليهودية في هذا الجانب، فأجاد في كشف مستوى الفساد والتردّي الأخلاقي الذي انحطّت إليه الشخصية اليهودية في مسرحيته **شعب الله المختار** حتى وصلت إلى حد أن الزوجة (سارة) تعاشر أعضاء الكنيسيت (كوهينسون وكوهين وكوهينوف وكوهان) وتدفع ابنتها "راشيل" إلى أحضانهم وأحضان الميليونير الإيطالي، والفتاة تغازل المستثمر الأمريكي علنًا، وخطيبها "سيموت" يرى كل هذا ويقبَله، وصاحب الفندق (حائم) لا يغضبه أن يرى زوجته تنتقل بين الحجرات ليلًا بقدر ما يغضبه أنها تخفي عنه كم نالت من كل واحد من زبائنها، ويوافق على تقلب ابنته بين الرجال، كل هذا من أجل المال(٢٦).

وبنسبة اغتصاب المرأة الفلسطينية هي من الصفات الأخلاقيات اليهودية. كما لاحظنا في مسرحية **الفئران** لأحمد الطاهر ومسرحية **مقهى الحرية** لجمال عمر.

وعرض الكاتب أحمد الطاهر في مسرحيته جوانب اغتصاب المرأة الفلسطينية ويقدم أن اليهود تجاوزوا الأخلاق والقيم.

"**رابين**: لا.. لا.. بل أحب أن تتكلم.. وماذا بعد أيتها الشقية.

**سلمى**: لست شقية أيها الجنرال..

**رابين**: (باسماً) ها أنت تدعينني بلقبي الآن..

**سلمى**: ومن في المخلوقات ليس له لقب.. إننا ندعو الكلاب والخنازير بألقابها..

**رابين**: (وقد استشاط غضباً) لا أنت تثيريني يا امرأة.. (في غضب) موشى..

**موشى**: (مسرعا) أمر سيدي الجنرال..

**رابين**: خذ هذه إلى الحُجرة المجاورة وقيدها إلى ...

**موشى**: (مبتسماً) في أي صورة يا سيدي؟

**رابين**: في أقبح صورة يمكن أن تكون لامرأة.. هيا أسرع..

**وائل**: (في ثورة أليمة) أيها الوغد الكبير.. ماذا تريد منا؟.. لماذا هذه الوحشية؟

---

٢٦- انظر: إدريس مقبول، **الشخصية اليهودية في أدب باكثير: رؤية تحليلية تداوليّة**، المصدر من أبحاث مؤتمر علي أحمد باكثير ومكانته الأدبية، المنعقد بالقاهرة في ١٨-٢١ جمادى الآخرة، ١٤٣١هـ، ١-٤ يونيه ٢٠١٠م حزيران.

**رابين**: أريد أن أستريح قليلا مع تلك القطة الشرسة.

**راوية**: (وهي تبكى) لا.. لا.. لا..

**رابين**: هوني عليك يا عجوز.. إن ذلك ليسعدها كثيراً.. أنه عذاب من نوع لذيذ.. ألا تدركين هذا..؟"(٢٧).

وهكذا يصور الكاتب جمال عمر في مسرحيته جوانب اغتصاب المرأة الفلسطينية سلمى ـ سجينة في الزنزانة ـ كما نرى في الحوار التالي:

"**راشيل**: كل ما أتمناه الآن أن ترقصي داخل هذه الزنزانة.

**سلمى**: (بشيء من التعجب) ماذا تقولين؟

**راشيل**: أريد أن أستمتع بجسدك المشوق وهو يتمايل..

**سلمى**: أنا لا أمارس الرقص أبداً ولا أدركه كما تفهمين..

**راشيل**: يكفيني أن أراك وأنت تخلعين ملابسكِ قطعة قطعة لتظهر مفاتن جسدك لهؤلاء الجوعى والمتعطشين.

**سلمى**: أرجو ألا تغتالي مشاعري بهذه الوحشية

**راشيل**: ألا تدركين أن هذه هوايتي قبل أن تكون وظيفتي أن أغتال المشاعر والأحاسيس؟

**سلمى**: يفضل ألا نتحدث في هذا الأمر.. واستبداله بأمر آخر.

**راشيل**: يا ليتني أستطيع.. أريد أن أشبع جوعى وأروي عطش..

**سلمى**: (تسأل) بماذا؟

**راشيل**: بجمال جسدك وهو يتمايل على هذه الموسيقى (في هذه اللحظة نجد راشيل تضع شريط كاسيت لموسيقى رقص ثم تتمايل معها متجهة نحو سلمى وهي تحاول أن تجعلها تجاريها وهي ترقص).

**راشيل**: تقدمي ما أجمل هذه الموسيقى، وأنت ترقصين على نغماتها الجميلة...

**سلمى**: قلت لك لا أستطيع...

**راشيل**: "تحاول أن تمسك بها وتجعلها ترقص وهي تجبرها على ذلك.. لكن سلمى ترفض بشدة..

تتكرر المحاولة.. وعندما تشعر بأنها أخفقت تنادي على ناتا وهي تصرخ.. "

**راشيل**: ناتا.. ناتا (تدخل ناتا)..

---

٢٧- أحمد الطاهر، **الفئران**، ص ٦٩-٧٠.

**ناتا:** أوامر القائد راشيل

**راشيل:** أحضري ثلاثة جنود بأقصى سرعة..

**ناتا:** (تسأل) لماذا..؟

**راشيل:** لكي يفترسوا هذه المرأة اللعينة..

"تخرج ناتا وبعد لحظات تدخل ومعها ثلاثة جنود من الشباب"...

**ناتا:** الجنود في انتظار الأوامر..

**راشيل:** (توجه حديثها للجنود) أريد أن تستمتعوا بهذه المرأة كما تشاءون، ولا أريد رحمة معها...

(يتقدم الجنود الثلاثة نحوها يجدونها تقاوم بشدة وتدافع عن نفسها، ولكن يتغلبون عليها في النهاية..

يظلم المسرح تدريجيًا مصاحبًا لمشهد المقاومة حتى يختفي كل شيء..

وباختفاء الصورة على المسرح... نسمع صرخة "سلمى" مدوية)

**سلمى:** وطني.. وطني.. و.. ط.. نـــ.. ي.. (يختفي الصوت تدريجيًا حتى يتلاشى تمامًا)"[٢٨].

**٥- النفاق**

عرض الكتّاب المصريون سمة أساسية من سمات اليهود في مؤلفاتهم بأشكال متعددة.

يصور الكاتب نجيب الكيلاني في مسرحيته **محاكمة الأسود العنسي** سمة النفاق لليهودي وهو نوع من النفاق الذي علق لشخصية اليهودي في هذه المسرحية. كما نرى عندما يعلن "الأسود العنسي" النبوة بأنه نبي آخر الزمان، يأتي الشخص اليهودي هارون إليه ويقول له بأنه نبي آخر الزمان بالحقيقة ويعلن إيمانه، وكانت هذه المحاولة لكي يفسد دين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والإسلام.

ومن المعروف، يعتقد اليهود بأنهم شعب الله المختار ولهم دين وكتاب، ويفتخرون بأنفسهم، وهذا ليس سهل أن يترك دينهم وتراهم عبثًا ولهوًا، ولكن هنا نرى هارون ينفق ويفكر في مصالحة.

ونلاحظ الآن في الحوار التالي:

"**هارون:** رجل من يهود جاء من بعيد يعلن إيمانه.

**الأسود:** لكن يهود لها كتابها ونبيها ولم يأتني أحد منهم، ولا من النصارى.

**هارون:** اليهود لا يتعجلون الأمور، وقد جئتُ أحمل إليك البشرى.

---

٢٨- جمال عمر، **مقهى الحرية والسجين**، ص ٦٨-٧٠.

(عبهلة يهز رأسه في حيرة، ويقيس الرجل بنظراته ثم يلتفت يمنة ويسرة، ويقول:)

**الأسود:** إن صح ما تقول فقد بلغت ما لم يبلغه محمد معكم.

**هارون:** إننا أهل كتاب، وليس من السهل أن نترك ديننا وتراثنا عبثًا ولهوًا.

**الأسود:** ذلك ما يحيرني.

**مقلقل:** شيء محير فصلًا يا أبتي.

**هارون:** سل من يتنزل عليه بالوحي.

**الأسود:** بالتأكيد.

(يقترب اليهودي، وينحني ويقبل الأرض تحت قدمي الأسود ثم يجر ولده الذي يتوارى خلفه ويقول له):

**هارون:** تقدم يا يعقوب أنت في حضرة النبي ذي الخمار (يفعل الولد مثلما يأمر أبوه).

**الأسود:** محمد لعنكم في قرآنه.

**هارون:** وألصق بنا كل رذيلة.

**الأسود:** كنتم تغدرون دائمًا.

**هارون:** أ تعتقد ذلك فعلًا؟؟

**الأسود:** أصبحنا في زمن اختلط فيه الحق بالباطل.

**هارون:** يا إلهي.. هذا كلام أنبياء.. وأفكار حكماء.

**الأسود:** في زمن كهذا لا يفصل بين الناس إلا السيف (ويمسك الأسود سيفه بعصبية ويرتجف هارون، وترتعش مفاصله).

**هارون:** صدقت... صدقت...

**الأسود:** ومنطق السنان أصدق من قوة البيان.

**هارون:** هو ذاك يا نبي الله.

**الأسود:** لقد شبعنا كلامًا وأحلامًا.

**هارون:** إن يهود يؤمنون بذلك، ولهذا أراق محمد دمهم أنهارًا، ودمر حصونهم، وبددهم بددًا ولم يرحم امرأة ولا ولدًا، وأحكم الحصار حولهم، علمتنا التجارب يا نبي الله أن القوة هي الحق الظاهر على هذه الأرض.. فالرحمة ضعف.. والعفو هزيمة، ونحن معك على العهد يا ذا الخمار.. فكن معنا ولا تكن علينا.

**الأسود:** نحن نمنعكم من محمد لو كنتم صادقين في إيمانكم بي.

**هارون:** بوركت من نبي.

**الأسود:** ونعيدكم إلى دياركم التي طردكم منها.

**هارون:** ذلك سمة من سمات النبوة ومعنى سامٍ من معاني الأخوة.

**مقلقل:** كلامكم جميل، لكن فعلكم مثير للريب

(ثم يصرخ الأسود)

**الأسود:** ويا ويح من يغدر أو يخون

فلأُسقينَّه كأس العذاب والمنون

**هارون:** لبيك، لبيك، عبهلة

جباهنا تخر له

ثم يلتفت إلى الجموع قائلًا: شاركونا الابتهال والترانيم يا جنود. إن ذا الخمار قد ورد ذكره في التلمود اسمه مكتوب بأحرف من لؤلؤ منضود. (يخرج اليهودي و ولده يعقوب)"[٢٩].

وبعد عدة أيام يأتي هارون مع ابنه مرة أخرى لكي ينجح في مصالحه.

**"الحارس:** اليهودي هارون وابنه يعقوب.

**الأسود:** (يبتسم).. آه.. هذا الجاسوس اللعين يسعى بظَلْفِه إلى حَتْفِه.. أيظن أن خديجة ستنطلي علينا؟ إنني على استعداد لأن أصفح.. نعم صفحت عن فيروز وداذويه وقيس.. لكنني لن أصفح عن جاسوس.

**الأسود:** (يصرخ) أدخلوا هارون زحفًا على يديه وركبتيه.

(بعد لحظات يدخل هارون و ولده يعقوب وهما يحبوان على الأرض.

**الأسود:** (يقهقه في سعادة): قَبِّلْ أقدام النبي.

**هارون:** (وهو يثب): إننا نتقرب إلى الله بتقبيل أقدام وأعتاب النبي.

**الأسود:** لكن قومك تنكروا لنا يا هارون القميء.

**هارون:** لا تصدق أكاذيب الرواة.

**الأسود:** ولماذا لم يأتوا كما زعمت ليعلنوا إيمانهم بي؟ (هارون يحاول أن ينهض)

**هارون:** إنهم..

**الأسود:** (يصرخ فيه ويقاطعه) لا ترفع رأسك.. ولتبق كما أنت..

**هارون:** أمرك يا مليكَ الزمان ونبيَّ الأنام.

---

٢٩- نجيب الكيلاني، **محاكمة الأسود العنسي**، دار ابن حزم ، ص ١٠.

**الأسود:** تكلم

**هارون:** قومي بين نارين.. محمد يطاردهم، ولو قدموا إليك لقضي على بقيتهم.. إنهم ينتظرون اللحظة المناسبة حتى يأتوا إليك خاضعين خاشعين.

**الأسود:** بل مؤمنين.. فلا قيمة للخضوع والخشوع بغير إيمان.

**هارون:** مؤمنين.

**الأسود:** هل أنا الأفضل أم موسى نبي بني إسرائيل؟

**هارون:** أنت من ذريته.

**الأسود:** كذبت.. فأنا خبير بالأنساب.. وأنت لم تجب على سؤالي.

**هارون:** أنت مذكور في التوراة.

**الأسود:** (ساخرًا): ماذا تقول التوراة عني؟

**هارون:** تقول التوراة: "سيأتي نبي من العرب، أسود الوجه.. أبيض القلب، يلبس الخمار ويصبح نبيًا ملكًا كسليمان وداود وستدين له الأرض.. عندئذٍ يفرح بنو إسرائيل، وينصون تحت لوائه وتمتلئ الأرض عدلًا ورخاءً.. ويدخل بيت المقدس".

(ويشرب كأسًا أخرى ويكاد يستلقي على قفاه من الضحك).

**الأسود:** في أي مكان من التوراة هذا الكلام؟

**هارون:** لو رددتني إلى قومي لسرقت منهم نسخة من التوراة وأطلعتك عليها.

**الأسود:** لن ترى أهلك مرة أخرى.

**هارون:** (في دهشة) كيف؟

**الأسود:** الجواسيس لا يرجعون بل يبقون معنا.

**هارون:** (يحاول أن يرفع رأسه) لم آتِ لأتجسس عليك بل للإيمان بأعظم نبي.

**الأسود:** (وهو يخفض رأس هارون بقدمه): أردتم أن تضربوا محمدًا بي، وتضربوني بمحمد..

إن يهود لا يفكرون إلا في مصالحهم.

**هارون:** أنا لا أخاف الموت على يديك، لأنه طريق إلى الجنة وإلى الخلود..

وهل لي أن أطمع في ميتة أعظم من هذه؟

**الأسود:** (يقهقه): إنك يا ملعون ترمي بآخر سهم في جعبتك.

**هارون:** مولاي الملك النبي.. كفرتُ باليهودية، وبمحمد وآمنتُ بك..

وليس هناك دليل واحد يدفعني للخيانة.

**الأسود**: (ساخرًا) عندما تكون يهوديًا فلن تحتاج إلى دليل إدانة.

**هارون**: إن محمداً لم يفعل بنا ذلك.. عاقب المخطئين منا وترك البقية. وما زالوا يعيشون في أماكنهم يؤدون شعائرهم.

**الأسود**: ها أنت تفضل محمدًا علي.. يا له من إيمان عميق.

**هارون**: بل أنشد العفو والرحمة منك يا خير الأنبياء، لقد أتيناك عبهلة وأنت أسمى منزلة.

**الأسود**: كفى.

**هارون**: (يهمس): وأنت أسمى منزلة.

(تسود فترة صمت، يتنفس الأسود الصعداء ثم يلتفت إلى ابنه مقلقل في برود).

**الأسود**: اضربوا عنق هذا الرجل وابعثوا برأسه مع ابنه إلى يهود ليعرفوا ماذا ينتظرون مني..

اقتلوا كل كتابي.. وكل حبشي.. وكل مسلم وكل مجوسي.. اقتلوهم اقتلوهم لا تبقوا على أحد.

(الحراس يجرون هارون من رجليه ومعه ابنه ويأخذونهما إلى الخارج)"(٣٠).

لاحظنا أن الأسود العنسي رغم أنه ادعى النبوة والكفر، يعرف نفاق وخيانة اليهود، ولا يقبل كلام هارون، وكان يعرف بأنه يكذب ولا يفكر إلا مصالحه، وهكذا أمر الحارس وأخرجه إلى الخارج مع ابنه.

ويصف علي أحمد باكثير اليهود أيضا بالنفاق والخداع في مسرحيته **إله إسرائيل**، ونلاحظ في الحوار الآتي:

"**الكاهن**: أنا كاهن هذا المعبد (يركع للصنم)

**الشيوخ**: أنت إسرائيلي؟

**الكاهن**: هكذا ينبغي أن أصنع وإلا انكشف سرّي.

**الشيوخ**: هذا حين تكون أمام المصريين.

**الكاهن**: بل دائمًا هكذا أوصاني أبي كما أوصاه جدّي من قبل، وهكذا استطعنا أن نأخذ من أموال المعبد ونذوره ما نشاء فنفرّقه على بني جنسنا، ويلكم أ تظنون أننا كنا نحتفظ بسرنا هذا ثلاثة أجيال لو لم نلتزم

---

٣٠- نجيب الكيلاني: **محاكمة الأسود العنسي**، ص ٦٢-٦٦.

سنن المصريين في كل وقت كما لو كنا منهم؟"[٣١].

هكذا اليهود يحققون مصالحهم بالذلّة والاستكانة، بالخداع والنفاق، بالتملّق والمداهنة ليصلوا إلى أهدافهم، وما ذلك عليهم بغريب فهم في سبيل مصالحهم كفروا بموسى واتخذوا إبليس إلهاً لهم.

**٦- حب المال**

رسمت مسرحية **إله إسرائيل** لعلي أحمد باكثير العلاقة الفطرية بين اليهودي والمال، ويصف الكاتب اليهود بحب المال، ويقدم شخصية يهودية يحتال في تحصيله من أي طريق. ونلاحظ هذا في الحوار الآتي الذي يجري بين إبليس والشيوخ.

"**إبليس**: ما أسرع ما نسيتم كلماتي: ألم أقل لكم أن من رحمتي ببني إسرائيل حين اتخذتهم شعبي المختار أن جعلت الذهب مظهري في الأرض يعبدونني فيه.

**الشيوخ**: ألا ترشدنا ماذا نصنع؟

**إبليس**: ماذا تصنعون؟ ثبوا على هارون فانتزعوا الذهب منه قبل أن يرسله إلى مصر.

**الشيوخ**: سيأخذ موسى كرة أخرى إذا رجع.

**إبليس**: صبّوا تلك الحلى واجعلوا قطعة واحدة فتضيع معالمها ويتحذر ردّها إلى أربابها.

**عزرا**: وبذلك تبطل حجة موسى.

**إبليس**: ثم اصنعوا من ذلك الذهب عجلاً فاعبدوه.

**الشيوخ**: عجلاً يا مولانا؟

**إبليس**: نعم.

**الشيوخ**: نعبد العجل كالمصريين ونحن موحدون؟

**إبليس**: ويكم إنما تعبدونني أنا فيه... عجل من خالص الذهب"[٣٢].

لقد أغوى إبليس اليهود من بني إسرائيل حيث كان لديهم الاستعداد لذلك فهم ليلة الخروج من مصر استعار نساء بني إسرائيل من جاراتهن المصريات من الذهب والحلي الشيء الكثير ولم يعيدوه إليهن، وهذه سرقة للأموال مما عرف عن اليهود في ابتزازهم لأموال الناس وسرقتها، وانتهى الأمر إلى صناعة العجل من ذلك وما حلّ بهم من التيه بعد ذلك خصوصًا ما عذب به عزرا بن إليعاز الذي صنع

---

٣١- علي أحمد باكثير، **إله إسرائيل**، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٠.

٣٢- المصدر السابق، ص ٣٦-٣٧.

العجل فأصيب بمرض جعل الناس ينبذونه ولا يمسونه (لا مساس). وهكذا ينتهي الأمر بعتاب موسى لأخيه هارون ويعرفه من هم بنو إسرائيل.

**موسى**: هيهات..... أن بني إسرائيل غلف القلوب، غلاظ الرقاب، فلو أني كنت لهم لين أبيك لاستضعفوني كما استضعفوه.

ولربما ظلّوا يعبدون العجل إلى اليوم فكانوا أمّة كسائر الأمم التي تعبد الأوثان من دون الله"[٣٣].

من هذا يتضح أن اليهود يحبون المال وأهمّه الذهب، وهم عباد لإبليس وشعبه وليسوا شعب الله المختار وعباده.

وهكذا الكاتب عبد الرحمن الشرقاوي يرسم سمة حب المال لليهود في مسرحيته **وطني عكا**، كما قلنا أن اليهودي يحتال أن يكسب المال من أي طريق، وهكذا توفي يعقوب ـ ضابط إسرائيلي ـ بسبب حب المال.

جاء أبو حمدان ـ مصري من عرب سيناء ـ يومًا من الأيام إليه وقال له أنه جاء بكنز وافر في داخل صندوق. في الحقيقة أنه أملأ الصندوق بمواد متفجرة.

"**أبو حمدان**: لا تؤاخذني.. فقد جئت هنا لامرأة من أهل ذلك.. (يقرب منه) إن في الصندوق سرا هائلا غير الحشيش.

نادهم كي يرجعوا يا سيدي

فترى النعمة في ذلك الخلاء المنبسط قسماً بالله لن يظفر بالكنز سواك..

**يعقوب**: نادهم يا أيها الضابط أن عودوا جميعًا للدروب.

**أبو حمدان**: يا أخي يعقوب.. افرح وانبسط! أنا ما حششت يومًا طول عمرى.. غير أن امرأة القرية أعطتني قطعة.. (يمشي به وهو يجر الصندوق متجهين إلى اليمين إلى الخلاء وأهل القرية يعودون إلى الساحة ويدخلون إلى الدروب بحراسة الضباط) إنه والله ملك..

عندما أعطتنى الشيء انسلطت.

(لأهل القرية الذين يعودون)

ابعدوا أنتم جميعًا.

ابعدوا عنا فإن الأمر سر..

---

٣٣- المصدر السابق، الفصل الأول، المشهد الخامس، ص ٥٤.

ادخلوا أنتم جميعًا للبيوت..

(ليعقوب) ثم إني يا صديقي.. إنه والله مهما قلت، شيء ليس يوصف!

إنني ما ذقته من قبل والله ولكنك تعرف..

**يعقوب**: أي كنزها هنا يا شيخ من أين سرقته؟

**أبو حمدان**: يا أخي اصبر.

إنه كنز مهول كان مخبوءا بأغنى الأديرة !

**يعقوب**: (للناس) ابعدوا أنتم جميعًا.. فلتعودوا للدروب.

أيها الجند، أحرسونا هاهنا..

(أبو حمدان ويعقوب الآن خرجا إلى الطريق الأيمن إلى الخلاء، وحولهما الضباط والجنود.. وبعض الجنود ما زالوا على مداخل الدروب)

**يعقوب**: أرني الكنز إذن..

(أبو حمدان الآن في أقصى اليمين عند المدخل الفسيح وحوله يعقوب وروبرتو وبعض الضباط والجنود.. يفتح الصندوق بحذر خارج المسرح..)

**أبو حمدان**: خذ.. تعال، انظر.. تمتع بالنظر..

(يقذف الضباط بمادة متفجرة ويسقط الجميع في الخارج تحت دخان الانفجار بينما يظهر حازم ـ كهل فلسطيني لاجئ ـ من على سطح دار ومعه بعض شباب)

**حازم**: أيها الجند، احذروا أن تطلقوا.. اثبتوا حيث وقفتم.. أيها الناس، أحيطوا بالجنود.. اشرعوا الأسلحة الآن فإن أطلق جندي رصاصا فافتحوا النار عليهم أجمعين"(٣٤).

**٧- الخوف والجبن**

اشتهر اليهود بالخوف والجبن، وهي من السمات الرئيسية للشخصية اليهودية، التي عرضها الكتّاب في مؤلفاتهم. ويوجد هذا الخوف والجبن والذل، ملموسًا واقعيًا في سلوكياتهم وخططهم، على الرغم من تفوقهم في الجانب العسكري وبعض الجوانب الأخرى.

ويرسم الكاتب عبد الرحمن الشرقاوي هذه الصفة في مسرحيته **وطني عكا**، عندما يقدم شخصية يهودية **سلامسكى** ـ ضابط إسرائيلي من أصل أمريكى ـ سنلاحظ هذه الصفة في الحوار الآتي:

---

٣٤- عبد الرحمن الشرقاوي، **وطني عكا**، ص ١٨٥-١٨٦.

"**سلامسكي**: إنى أشعر أني صرتُ غريبًا حقًا في العالم، أهل فلسطين القدامى المطرودون أراهم أسعد مني اليوم.

فهم يحبون على أرض ـ هي أرض سواهم بالطبع ـ لكن ثمة يا يعقوب عوامل أخرى مشتركة: عواطفهم، لغة، التعبير، مخاوفهم، إحساسهم، تاريخهم، وأغانيهم، أحزانهم.. أحلامهم...

**يعقوب**: (مقاطعًا) أصبحت إذن بوقا عربيا يعزف أنغام القومية.

**سلامسكى**: وأنا الآن هنا أخسر أمني اليومي بلا طائل.

فلماذا؟ ما الجدوى لوجدي هذا؟

ولقد أدفع أيضًا عمري.

من ذا يمسكني ويحركني لمصير مجهول عني إذ لا حيلة لي ولا مهرب؟

إنا أصبحنا أدوات في أيدي أشباح تضرب، تضرب مالا أعرفه تضرب مالا أمقته، أنا لم أشعر طول العمر بخوف أبدًا لكني جربت هنا تعذيب الرعب.

**يعقوب**: أ تخاف الإرهابيين؟ أ أنت جبان؟

يا للجبن! أ تذكر ليلة هوجمنا في النادي الصيفى؟

أ تذكر؟

أجرأوا أن يقتحموا النادي ليلتها؟

بل قذفوا القنبلة وفروا..!

أصيب كثير في النادي لكن الضارب لم يظهر.

ما جاربنا كالفرسان!

**سلامسكى**: لا تتعجل هذا الأمر فمن يدري؟

قد تتحول دور الناس إلى ميدان.

**يعقوب**: خرجتُ أطاردهم لكني لم أبصر أحدًا منهم.

لم أبصر إلا البدوية.

بنت الشيخ أبي حمدان.

كانت خائفة ترتعش هناك من صوت الطلقات.

وحين سألت البنت: لماذا عدت الآن؟ بَكَتْ فزعًا.

كان تفجر قرب الفندق مخزن بترول سري فانهارت وانهار أبوها وجرى.

فجاءت كي تبحث عنه في النادي الصيفي..

أ تذكر؟

ألم تر إرهابيًا منهم أبدًا؟

لو قابلتهم ما خفت.

يكاد الواحد منهم أن يسقط إعياء من فقره هم كالشيخ أبي حمدان، كبنت وليس

الرعب في يوم ما ستكون معي،

لنفتش بعض قرى يختبئ بها إرهابيون، ستراهم أنت بنفسك إن كانوا يلقون الرعب

ولوحتى في أضعف قلب..

**سلامسكى**: لن تفهمني يا يعقوب.. أصبحت هنا أخشى ما حولي،

أنا أخشى الإرهابيين، وأهل فلسطين القدماء،

أخشى آلاف الأشياء،

خوف قد يبدو حمقًا،

أخشى ما يخفيه الغيب لنا في جوف المستقبل،

أخشى حتى هذا الليل،

أ تعرف ماذا أخشى الآن؟

لم أتعود ليل الريف الشرقي الضاري الموحش، هذا الليل المتوحش.

تسيل أفاعيه السوداء ويصبح مملكة للذئب"[٣٥].

لاحظنا في هذا الحوار أن اليهود في الحقيقة ليسوا أبطالًا ولا شجعانًا ولا مقاتلين ولا محاربين، ومع هذا وذلك فهم حريصون على الحرب والقتال، وأن أكبر نقطة ضعف في الجيش الإسرائيلي هي خوفهم من القتل والأسر في صفوف الجيش، وذلك لأن المعنويات لدى الأفراد تنهار بأسرع وقت ممكن، وعلى هذا فإن الحكومة الإسرائيلية أثناء حروبها تسعى إلى التكتيم الإعلامي، وسرية المعلومات خصوصًا على مؤسسة الجيش أثناء الحرب، بل يحاول الجيش الإسرائيلي إخفاء الخسائر الحقيقية في الجيش.

إذن حقيقة هؤلاء هي الخوف.. الجبن.. الذلة، وإذا وجد الرجال المؤمنون.. الشجعان.. أصحاب العقيدة الصلبة، فإنهم قادرون على فضح هؤلاء، وإيقاف جرمهم كما ترى صمود المقاومة،

---

٣٥- عبد الرحمن الشرقاوي، **وطني عكا**، ص ١٣٩-١٤٠.

فالكل يعلم أن إسرائيل تمتلك ترسانة عسكرية ضخمة، جوية.. بحرية.. برية، وتعد من الدول الأكثر جاهزية فتالية مواكبة لأحداث الاختراعات العسكرية، وعلى الرغم من هذا إلا أن المجاهدين الأبطال، استطاعوا بفضل الله توجيه ضربات موجهة لإسرائيل خلال المواجهات الأخيرة.

وتفاجئه إسرائيل واندهشت بصمود هذه المقاومة وبسالتها، وحنكة وشجاعة رجالها مما جعلها تجر أذيال الخيبة والفشل في القضاء على المقاومة، مع أنها متفوقة عسكريًا.. واقتصاديًا.. وإعلاميًا.. على المقاومة بما لا يدع مجالا للمقاومة، بين الطرفين، وإسرائيل اليوم تعي تمامًا أن رجال المقاومة الإسلامية يعتبرون كابوسا جاثما على قلوبهم، وأنهم يضعون ألف ألف اعتبار للمجاهدين، أكثر مما يضعون الاعتبار لبقية الجيوش العربية.

٨- **الاغتراب**

يستخدم مصطلح الاغتراب للإشارة إلى اليهود الذين هاجروا من أنحاء العالم إلى إسرائيل. ويغلب الإحساس بالاغتراب على الشخصية اليهودية في أدب عبد الرحمن الشرقاوي وعلي أحمد باكثير وفي الواقع.

يرسم علي أحمد باكثير الشخصيات اليهودية التي تحس بازدواجيّة الانتماء، وقد يتحول في بعض الأحيان هذا الشعور إلى نوع من التعالي في **شعب الله المختار** والتظاهر بمركب العظمة تفاديًا للوقوع في برائن الانتحار والضياع الهووي (من الهوية)، ونلاحظ هذه السمة في مسرحيته **شعب الله المختار**:

"**كوهنسون**: وأنا أمريكى مثلك.

**أندرسون**: (في سخرية حفيّة) أقصد أنني أمريكي فقط، أما أنت فأمريكي وإسرائيلي في وقت واحد.

**كوهان**: وأي عيب في ذلك؟ فأنا أيضًا إسرائيلي وفرنسي.

**كوهين**: وأنا إسرائيلي وإنجليزي.

**كوهينسوف**: هل ترى في ذلك عيبًا يا مستر أندرسون؟

**أندرسون**: وهل لنا نحن مثيل في شعوب العالم؟ نحن **شعب الله المختار**"(٣٦).

وهكذا نجد سمة الاغتراب في أدب عبد الرحمن الشرقاوي كما نرى في مسرحيته **وطني عكا** عندما يرسم الكاتب الشخصيات اليهودية التى تُحِسُ بالغرباء وازدواجيّة الانتماء، ويقدم مارسيل الذي يسأل الجنود الإسرائيلية عن جنسيَّتهم.

---

٣٦- علي أحمد باكثير، **شعب الله المختار**، دار مصرية ومكتبة مصر، القاهرة، ص ٣٤.

"**مارسيل**: أنت من أين؟ أجيبي..

(يدور بينهم جميعًا يسأل ولا ينتظر إجابات) أنت يا يعقوب من غرب فرنسا، (لمجندة) أنت ألمانية.

(لرجل آخر) أنت من وارسو.

ثم أنت؟ أنت رومانية، وأخونا إن تذكرت سويدي.. تونسي.

(ما زال بينهم مشيرا إلى كل واحد وواحدة)

مجري، نمسوي، وسويسري، فنلندية.. استرالي كندي.. استرالي.. كولومبي..

أنت مكسيكية إن لم تخنى الذاكرة.

من هولندا.. أنت إيطالية.. أنت من روما كذلك.

أنت من برلين، هاجرت للندن.. إنجليزي.. أمريكي..

أنت من أي البلاد؟

**مجندة ٣**:

إنا من قلب البرازيل وفي الأعماق مني اللهب الخالد من شمس بلادي.

(لضباط) أنت أيضًا من أميركا (ثم يدور بينهم كالمحموم)

أنت من هامبورج.. من أوسلو.. كولومبي أنت من وهران.. من دبلن.. من جنوا.. فرنسي داينماركي.. وأميركي.. أنت ألمانية.. من بودابست

أنت روسي.. عراقي.. ومصري.. وتركي..

من بروكسل.. من براغ.. من أثينا.. يا إلهي !! إنها حملة غزو بربرية.

إننا جئنا هنا من كل فج لا لحج.

بل لكي ننشئ دولة.

ثم أنشأنا هنا الدولة، ماذا بعد هذا ؟

أي شيء بعد هذا مشترك ؟

كل ما يجمعنا الدين ولا شيء سواه"(٣٧).

هكذا لاحظنا في مسرحية علي أحمد باكثير **شعب الله المختار** أن الاغتراب يُسَيطِر باعتباره شعورًا

---

٣٧- عبد الرحمن الشرقاوي، **وطني عكا**، ص ١٢٨-١٢٩.

شاذًا (وضع شاذ لا مثيل له في العالم) كما ورد في نصّ الحوار، والشخصية تُحاوِل تأويله من الضعف والشَّتات والتلاشي معنى القوة والتميُّز والانتخاب الطبيعي أو الإلهي **شعب الله المختار**.

والشخصيات اليهودية التي رسمها عبد الرحمن الشرقاوي في مسرحيته أنها جميعها تتعلق بالبلدان المختلفة. وكما نعرف أن اليهود تكلموا بلغات مختلفة حسب الموقع الذي يعيشون فيه. وهذا يبين أنهم هجين من عدة قوميات ومن عدة لغات، وهدف أساسي الصهيونية الذين جاءوا إلى فلسطين لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين بضمن القانون العام.

ويصور الكاتب مارسيل بأنه قلق وحزين بالاغتراب ويعترف أنه غريب في فلسطين.

**٩- اليهود شعبًا متميزًا**

يعتقد اليهود أنهم أقرب الناس إلى الله ويعتبرون الآخرين أقل درجة من حيث الفكر والروح ووظيفة الحياة، ويقدم الكاتب جمال عمر هذه نقطة في مسرحيته **مقهى الحرية** ويصور الشخصيات اليهودية في هذه المسرحية يميزون بينهم وبين الآخرين، فيجب في نظرهم احترام اليهودي ومراعاة الآداب معه، وأما غير اليهودي فلا يستحق شيئًا من الحرمة. وهذا ما يشير إليه قول راشيل لسلمى!

"**راشيل**: ضاحكة مستهزأة نحن نعيد حقنا الذي سلبتموه عبر العصور..

**سلمى**: (بسخرية).. أنتم تتوهمون خيالات بعيدة عن الواقع.. صنعتم لأنفسكم أسطورة وصدقتموها.. استحببتم كل الأديان وكل الممارسات غير الإنسانية ومازلتم تمارسونها ببشاعة..

**راشيل**: لا تقولين هذا وأنت تعلمين أننا السادة وأنتم العبيد"(٣٨).

ونرى هذه نفس الصفة عند علي أحمد باكثير في مسرحيته **شعب الله المختار** وعرض في المسرحية أن اليهود يظنون بأنهم مسيطرون على كل شيء ولا مثيل لهم في العالم. ونرى في الحوار الآتي:

"**كوهين**: وجّه همّه إلى تحطيم كيان العرب بوسائل مختلفة حتى يرضخوا للصلح.

ليفى: كيف ؟

**كوهين**: أنشأ وزارة خاصة لتهريب الحشيش إلى مصر.

**أندرسون**: حشيش؟

**كوهان**: إنه أفعل في تحطيم من أي سلاح آخر.

**كوهينسون**: هذا محال.... نحن المسيطرون هناك على كل شيء.... على الصحافة والإذاعة والبنوك

---

٣٨- جمال عمر، **مقهى الحرية والسجين**، ص ٦٤.

والمصالح الحكومية وعلى الكونجرس بل على البيت الأبيض نفسه.

**كوهان**: وهل لنا نحن مثيل في شعوب العالم؟ نحن شعب الله المختار.

**أندرسون**: هذه نفس نظرية التفوق العنصري التي من أجلها حاربنا هتلر.

**كوهان**: نحن ألبنا الدنيا على هتلر لأنه حاول أن يسرق هذه الميزة من بني إسرائيل وينسبها إلى قومه الألمان

**أندرسون**: إذا كنتم أنتم تدينون بها فما الفرق بينكم وبين النازيين؟

**كوهان**: الفرق أننا شعب الله المختار حقًا، أمّا هم فأدعياء"(٣٩).

قد لاحظنا هذه الصورة النفسية سلبية للشخصيات اليهودية التي جاءت في المسرحيات المصرية، حيث وصف الكتّاب المصريون اليهود بالصفات الموروثة لليهود على مدى الأجيال، وهي نفس الصفات التي ذكرنا عن الشخصيات اليهودية في كل المسرحيات المختارة.

**المبحث الثاني: الصورة اليهودية النفسية الإيجابية**

كما ذكرنا في الصفحات الأولى أن الكتّاب المصريين لم يقتصروا على تصوير الشخصيات اليهودية التي تمثل الجانب السلبي لليهودي بل كذلك عرضوا الكثير من الشخصيات اليهودية الإيجابية في مؤلفاتهم، أما في المسرحيات المختارة في هذا البحث فلا توجد الصورة الإيجابية لليهودي بعدد كثير، ولكن مع هذا توجد في بعض المسرحيات الصورة النفسية الإيجابية لليهودي كما نلاحظ في المسرحية **وطني عكا** لعبد الرحمن الشرقاوي والمسرحية **جهاد النبي** لمحمد محمود زيتون، والمسرحيتين **إله إسرائيل** و**شعب الله المختار** لعلي أحمد باكثير وغيرها.

حاول عبد الرحمن الشرقاوي في مسرحيته إبراز الصورة النفسية الإيجابية للشخصية اليهودية، ويقدم مارسيل ـ مثقف إسرائيلي من أصل فرنسي ـ حزينًا لأجل الفلاح الفلسطيني الذي قتله، قائلًا:

"**مارسيل**: لم أزل أبصر في صحوتي ونومي وجه مصري قتلته.

**مارجو**: ذلك الفلاح ! يا ويلي وويله!

طالما حدثني عنه إلى أن صار يلقاني كالكابوس أيضًا، إن غفوت.

**مارسيل**: رغم أني كنت في سيناء لكي أطلق منها كلمات لا رصاصا.

**مارجو**: ما التقينا منذ أن عدت على شيء سوى هذا الكلام.

قلته في كل ركن هاهنا حتى إذا نحن جلسنا للطعام!!

---

٣٩- علي أحمد باكثير، **شعب الله المختار**، ص ١٩٧-١٩٨.

قلته لي كل ليل ونهار..

**مارسيل**: لم تكن تلك بحرب، إنها كانت مذابح.

**مارجو**: وإذا ما فاض بي الشوق إليك...

**مارسيل**: (يكمل حزينًا) قام هذا الشيخ الهائل ما بيني وبينك.

**مارجو**: هكذا تدهمنا أشباح سيناء إذا نحن التقينا لننام.

**مارسيل**: ربما أنسى جميع الناس والأشياء لكن لست أنسى وجه فلاح قتلته..

**مارجو**: إنهم ما احتشدوا إذ ذاك إلا ليبيدونا جميعًا..

أ هو مارسيل الذي يهذى بهذا؟

ويرى في نصرنا الساحق وصمة؟

أنت مارسيل الذي تفخر إسرائيل به؟

رجل الفكر الذي يحمل أعلى الأوسمة؟

**مارسيل**: (مسترسلًا) قبل أن أقتله قال: سنستخلص منكم أرضنا.

كلمات حملت لي ذكريات الأمس بغتة..

**مارجو**: عندما كنت فتى حرا يقاوم.

**مارسيل**: يا لذاك الرجل الفلاح لم يمح دوي النصر والبارود من أذنى صوته!

لا ولن يطمس هذا الوهج البراق وجهه.

كان في عينه إصرار غريب.

كان في عينه حب ودعاء.

يحمل الهول إلى زوجته.

كان في سحنته السمراء حزن ورجاء.

كان مدفوعًا بإيمان جسور عبقري.

مثل إيمان شهيد أو نبي.

قال في صوت حزين يعبر النار إلى قريته حين عيناه تغيمان وما زال يقول:

علمي أطفالنا أن ينقذوا الأرض التي دنسها هذا الغريب.

**مارجو**: يا إلهي إنني أحمل سيناء كل سيناء لعنة من فوق رأسي

**مارسيل**: إنني قد خنت في سيناء ما يملأ بالعزة نفسى..

إنني أهددت في سيناء أمسى

أنا ذا أصبحت في عالمنا هذا غريبًا دنس الأرض الغريب

أنا ذا تقطر أقدامي دماء فوق أرض الآخرين

أنا ذا من قاوم النازية السوداء في باريس

قد أصبحت غولا.

كم من الأطفال والزوجات في مصر يهيلون على اللعنات!!"(٤٠).

لاحظنا في هذه المحادثة التي تجري بين مارسيل وزوجته مارجو، يعترف مارسيل بمعصيته التي فعل مع الفلاح ويعترف أيضًا بأخطائه كما خنت في سيناء.

وهكذا نراه في موضع آخر قائلًا:

"**مارسيل**: إنا نعيش هنا على إنقاضهم

إنا سمنا هاهنا من قوتهم

وصدورنا امتلأت بطيب هوائهم

إنا سلبناهم هنا تاريخهم وحياتهم و وجودهم"(٤١).

وهو يعترف بأنهم قاموا بالاضطهاد والظلم على أرض فلسطين.

ويصور الكاتب عبد الرحمن الشرقاوي في مسرحيته مارسيل بأنه نادم وحزين ويعتقد أن الأرض التي يحتلها ليست له، قائلًا:

"**مارسيل**: إننا جئنا هنا من كل فج لا لحج

بل لكي ننشئ دولة

ثم أنشأنا هنا الدولة ماذا بعد هذا؟

أي شيء بعد هذا مشترك أي لغة؟؟

كل ما يجمعنا الدين ولا شيء سواه

هذه الأرض التي نحتلها ليست لنا

وهي لن تغدو يومًا ملكنا

---

٤٠- عبد الرحمن الشرقاوي، **وطني عكا**، ص ١٠٣-١٠٥.

٤١- نفس المرجع، ص ١٠٧.

إننا ندرك هذا فلماذا لم نعد؟

أم ترانا قد غدونا أدوات دون عقل في ذراع العسكرية؟

احذروا وانتبهوا للهاوية

قد وقعنا كلنا في المصيدة

نحن أصبحنا عبيداً كلنا

وكما يستبق الأقنان في إرضاء مولاهم تسابقنا جميعًا

قد تسابقنا لكي ترضى عنا العسكرية

نحن أصبحنا دمى في مسرح سالت حواليه الدماء الخيوط الذهبيات الخفيات

يحركن المصائر

الأكاذيب يغلفن الضمائر

الحلوق امتلأت بالحصوات

الأفاعي يتمددن على كل فراش هجرته الفاتنات الضلات يرتلن نشيد الصلوات.."(٤٢).

أما الشخصية النفسية الإيجابية الثانية التي لاحظناها في المسرحية **جهاد النبي** لمحمد محمود زيتون، فهي شخصية كنانة بن صوريا من يهود بني حارثة، يعترف بأن محمدا نبي آخر الزمان، وإنه لرسول مبعوث، ويقول أنه درس في كتب التوراة التي لم تغيّر ولم تبدل: أن مولده بمكة، ودار هجرته يثرب. وهكذا يصور الكاتب الشخصية النفسية الإيجابية لليهودي في مسرحيته.

"**كنانة**: هل تدرون لم قام محمد؟

**ابن جحاش**: لا ندري... وما تدري أنت؟

**كنانة**: والتوراة إني لأدري أن أُخبر محمد بما هممتم به من الغدر، فلا تخدعوا أنفسكم، والله إنه لرسول مبعوث، وما قام إلا أنه أخبر بما هممتم به، وإنه لآخر الأنبياء..

**ابن جحاش**: فهلا كان من بني هارون؟

**كنانة**: كنتم تطمعون أن يكون من بني هارون فجعله الله حيث شاء، وإن كُتُبَنَا والذي درسنا في التوراة التي لم تغيّر ولم تبدل: أن مولده بمكة، ودار هجرته يثرب، وصفته بعينها ما تخالف حرفًا مما في كتابنا، وما يأتيكم أولى من محاربته إياكم، ولكن أنّى أنظر إليكم طاعنين يتضاغى صبيانكم، قد تركتم دوركم

---

٤٢- عبد الرحمن الشرقاوي، **وطني عكا**، ص ١٢٩.

خرابًا يبابًا، وإنما هي شرفكم.

**حي**: (في سخرية) وإذا ما فني ما عندنا من الذهب والجيش اللجب، فما مقامك يا كنانة بأرض الهون؟

**كنانة**: فأطيعوني في خصلتين.

**ابن جحاش**: والثالثة؟

**كنانة**: والثالثة لا خير فيها.

**حي**: وما الخصلتان يا حامل التوراة؟

**كنانة**: تسلمون وتدخلون مع محمد، فتأمنون على أموالكم وأولادكم، وتكونون من أصحابه، وتبقى بأيديكم أموالكم فلا تخرجوا من دياركم.

**سلام**: لا نفارق التوراة وعهد موسى.

**حي**: أ نفارق التوراة ونتبع القرآن؟

**ابن جحاش**: أ لم نتحمل التوراة يا كنانة؟

**كنانة**: فإنه مُرسِلٌ إليكم أن اخرجوا من بلدي، فقولوا: نعم، فإنه لا يستحل لكم دمًا ولا مالًا وتبقى أموالكم، إن شئتم بعتم وإن شئتم أمسكتم.

**كنانة**: أما والله إن الأخرى خيرهن لي، و والله لو لا أن أفضحكم لأسلمت، ولكن لا تعيّر شعثاء بإسلامي أبدًا حتى يصيبنى ما أصابكم"(٤٣).

نرى في هذه المسرحية شخصية كنانة رغم أنه أحد من أحبار اليهود وأهل العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، كان يعترف أن محمدا صلى الله عليه وسلم على الحق، وأنه لآخر الأنبياء.

أما الشخصية الثالثة في المسرحية المذكورة، فهي شخصية سلام بن مشكم الذي كان زوج صفية بنت حيي بن أخطب زوجة الرسول قبل اعتناقها الإسلام.

كان سلام بن مشكم يحاول أن يمنع قومه من قتل الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول لهم: إذا فعلتم هذه ليُخبرنّ بأنا قد غدرنا به، وهذا نقض للعهد الذي بيننا وبينه.

"**ابن جحاش**: أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة قاتلة.

**سلام بن مشكم**: يا قوم أطيعوني هذه المرة، وخالفوني الدهر، والله لئن فعلتم فعلتكم هذه ليُخبرنّ بأنا

---

٤٣- محمد محمود زيتون، **جهاد النبي**، ص ١٠٨-١٠٩.

قد غدرنا به، وهذا نقض للعهد الذي بيننا وبينه، فلا تفعلوا، فوالله لو فعلتم الذي تريدون ليقومن بهذا الدين منهم قائم إلى يوم القيامة يستأصل يهوداً ويظهر دينه.

**حي**: بل نقتله. ونأخذ أصحابه أسارى إلى مكة فنبيعهم من قريش، ونستهلك كل ما لديهم من مال، ونوقع بعضهم في بعض.

**سلام بن مشكم**: لا تفعلوا.. والله ليخبرن لما هممتم به.

**ابن جحاش**: لن نسمع لك يا سلام"(٤٤).

أما الشخصية الإيجابية الرابعة في هذه المسرحية، فهي شخصية كعب بن أسد الذي كان من بني قريظة، وهو صاحب عقد بني قريظة في الأحزاب:

"**كعب بن أسد**: إنك امرؤ مشئوم، وإني قد عاهدت محمدًا، ولست بناقض عهدي معه.

**حي**: أو لستَ صاحب عقد بني قريظة؟

**كعب بن أسد**: بلى، و بيننا و بينه صحيفة ولكني والله ما رأيت من محمد إلا وفاء وصدقًا و لن أخونه أبدًا"(٤٥).

كعب بن أسد رغم أنه يهودي يعرف محمدا صلى الله عليه وسلم بصدقه ووفائه، ويعترف أنه ما رأى من محمد إلا وفاء وصدقًا، ولأجل هذا هو لن يخونه أبدًا.

قد توجد هذه الصفات النفسية الإيجابية المذكورة قليلة في المسرحيات المصرية، ونجد أقلّية قليلة من اليهود التي ترجع إلى الحق عندما تعرفه، كشخصية مارسيل، وكنانة بن صوريا، وكعب بن أسد، رغم أنهم ليسوا على دين محمد، مع هذا يحقّقون الحق.

وهكذا رأينا أن باكثير "التزم الإنصاف في الحديث عن اليهود ما أمكن فتلك أوقع في النفوس وأبعث على الإقناع"(٤٦). وقد التزم باكثير بذلك في كل أعماله المسرحية التي تناولت اليهود، فقد رأينا كيف أنه لم يقتصر على الشخصيات اليهودية التي تمثل الجانب الشرير وحدها بل عرض للكثير من الشخصيات اليهودية الإيجابية التي ترفض الصهيونية التي تقوم على مبدأ التمييز العنصري وترفض المقومات التي قامت عليها دولة إسرائيل.

---

٤٤- محمد محمود زيتون، **جهاد النبي**، ص ١٠٧.

٤٥- نفس المرجع، ص ١٥.

٤٦- علي أحمد باكثير، **الأديب العربي في المعركة ضد الاستعمار والصهيونية**، مكتبة مصر، ص ١١.

ففي مسرحية **إله إسرائيل** فالعناصر الإيجابية فيها هي القِلة التي آمنت بالأنبياء واتبعتهم.

"**موسى**: خبرني من أين جاءوا بهذا؟

**هارون**: وثبوا عليّ بعدك فانتزعوا حلى المصريين التي جمعتها فصاغوا منها هذا العجل وعبدوه.

**موسى**: واستطعت أن تعيش بينهم بعد؟

هلا كان بطن الأرض خيرًا لك من ظهرها وقد كفر قومك بالله وعبدوا عجلًا من ذهب؟

**هارون**: وددت والله لو أماتني الله قبل أن أرى ما رأيت.

**موسى**: أ لم يكن معك رجالك فأين كانوا؟

**هارون**: كانوا قلة في كثرة.

**موسى**: قلة والله معهم"(٤٧)؟

وهكذا يستمر الكلام بين موسى وهارون، ثم يسأل قومه، "من الذي دعاكم إلى عبادته"(٤٨)؟ سنلاحظ هذا في الحوار الآتي:

"**موسى**: السامرى صنع لكم العجل... فمن الذي دعاكم إلى عبادته؟

**القوم**: نحن جميعًا عبدناه.

**هارون**: (بصوت خافت) عزرا هو الذي كان يرتل الصلاة للصنم...

**موسى**: مهلًا يا هارون... أريد أن أسمع منهم لا منك... (للقوم) يا غلاظ الرقاب من الذي دعاكم؟

**القوم**: لا أحد... لا أحد... نحن جميعًا عبدناه! (فترة صمت)

**هارون**: بين يديك... تقدموا يا رجال! (يتقدم جماعة من جوانب الخيمة حتى يقفوا أمامها)

**موسى**: عبدتم العجل أنتم؟

**الجماعة**: معاذ الله يا كليم الله...

**موسى**: الحمد لله... خذوا سيوفكم فقفوا على مدخل خيمة العهد ومخرجها ثم ليدخل بنو إسرائيل واحدًا واحدًا فسلوا كل واحد منهم من دعاه أول مرة إلى عبادة هذا الصنم، فمن يجب فأعطوه السيف ليقتل به من دعاه، ومن لم يجب فاقتلوه هو.

**القوم**: (يتعالى صياحهم) ارحمنا يا كليم الله.

---

٤٧- علي أحمد باكثير، **إله إسرائيل**، ص ٣٣.

٤٨- نفس المرجع، ص ٣٦.

لا تجعلنا نقتل أنفسنا.

**موسى**: هذا قضاء الله فيكم أن تقتلوا أنفسكم"(٤٩).

وهكذا رأينا في مسرحية **شعب الله المختار** كيف قاد كل من "حائم" و "سيمون" و "ليفى" حركة المقاومة الشعبية التي تثور على دولة إسرائيل وتطلب من هيئة الأمم تصفيتها.

ويقدم الكاتب علي أحمد باكثير ذلك من خلال شخصية "سيمون" القادم من مصر الذي اضطر للتجسس على مصر لمصلحة إسرائيل ثم أحس بأنه يخون بلده الذي ولد ونشأ فيه، فرغب في الانتحار، خاصة بعد انتحار صديقه الروماني (مرد خاي):

"**سيمون**: كلا لا فرق بين حالي وحال مردخاي، بل صدقني يا عم حائم إن هذا حال كل شاب يهودي قضى عليه سوء الطالع أن ينشطر ولاؤه بين بلده الأصلي وبين إسرائيل"(٥٠).

ونتيجة لهذه الأخلاط المتنافرة من اليهود وتضارب مصالح الأفراد مع مصالح الدولة أو الجماعة، إضافة إلى العزلة التي تعيشها إسرائيل، وتدهور اقتصادها، يتوقع الكاتب انهيار إسرائيل من الداخل بثورة عناصرها الشعبية على الحكومة وإسقاطها(٥١)، ومن ثم يسلمون أمرهم إلى هيئة الأمم التي تصفي إسرائيل وتعيد المهاجرين إلى بلادهم(٥٢).

"**راشيل**: بشرى يا ماما ـ بشرى يا بابا.

**حائم**: خير يا راشيل.

**سارة**: ماذا جرى؟

**راشيل**: هيئة الأمم المتحدة قررت السماح للمهاجرين بالرجوع إلى بلادهم الأصلية.

**حائم**: الحمد لله.

**سيمون**: أ تدري لمن الفضل في ذلك يا عم حائم؟

**حائم**: لمن؟

**راشيل**: (في زهو وهي تنظر إلى سيمون) لمندوب مصر.

---

٤٩- علي أحمد باكثير، **إله إسرائيل**، ص ٣٥-٣٦.

٥٠- علي أحمد باكثير، **شعب الله المختار**، ص ٢٨.

٥١- انظر: مديحة عوان، **مسرح علي أحمد باكثير**، مكتبة مصر، ص ٣١٠.

٥٢- انظر: عصام بهي، **الشخصية الشريرة**، مكتبة مصر، ص ٢٤٦.

**حائم وسارة:** مندوب مصر؟

**سيمون:** أجل الذي تقدم بهذا الاقتراح فأيدته الكتلة الأسيوية الأفريقية ثم الكتلة الشرقية.

**سارة:** والكتلة الغربية"(٥٣)؟

أراد باكثير أن يحلل المجتمع الإسرائيلي من الداخل ويبرز التناقضات القائمة داخله، التي لا شك ستؤدي به إلى النهاية. ولهذا جعل باكثير اليهود يثورون على الدولة الصهيونية:

"**حائم:** فلم لا تكافحون للقضاء على هذه الدولة فتريحونا منها فإننا جميعًا في بؤس وشقاء؟

**سيمون:** (متعجبًا كأنه لا يصدق ما سمع) أنت أيضًا يا عم حائم؟

**حائم:** طبعًا يا بني... أ لا ترى ما نحن فيه من سوء الحال؟ المكاسب تقل والضرائب تزيد والمعيشة لا تطاق والدولة مفلسة تتسول وتتسلح، الحاضر مظلم والمستقبل أظلم.

**سيمون:** هذا ما ينادي به ألفريد ليلنتال وجماعته المعادون للصهيونية في أمريكة

**حائم:** أجل هؤلاء هم الذين يعملون حقًا لغير اليهود في العالم.

**سيمون:** لكن الصهيونيين هم الغالبون في كل مكان.

**حائم:** لأننا أيَّدناهم وانخدعنا بأضاليلهم حتى بعد ما انكشف لنا هذه الأضاليل"(٥٤).

وقد جعل الكاتب علي أحمد باكثير المهاجرين يعودون إلى البلاد التي قدموا منها، فعادوا مواطنين صالحين فيها:

"**سيمون:** نهاية الصهيونية يا راشيل وبداية خلاص اليهود ـ غدًا يكونون مواطنين صالحين في كل بلد"(٥٥).

وبذلك فقد كان هجوم الكاتب منصبًا على الصهيونية الحركة العنصرية، وليس على اليهودية الدين:

"**كوهين:** تبرأت يا خائن مِلتك؟

**عزرا:** من الصهيونية يا ملعون ـ لا من اليهودية... منكم يا ملاعين ومن عصبات المجرمين النصابين الشحاذين"(٥٦).

---

٥٣- علي أحمد باكثير، **شعب الله المختار**، ص ١١٩.

٥٤- علي أحمد باكثير، **إله إسرائيل**، ص ٢٩.

٥٥- علي أحمد باكثير، **شعب الله المختار**، ص ١٣٢.

٥٦- نفس المرجع، ص ١٣٣.

وهكذا سار باكثير على مبدأ الإنصاف في جميع مسرحياته. وكانت هذه الصورة النفسية الإيجابية لليهودي التي عرضها الكتّاب المصريون في مسرحياتهم، وقد تناول هؤلاء الكتّاب كل الأعمال لليهود في مسرحياتهم التي التزموا بها.

قد لاحظنا أن صورة اليهودي تتعدد وتتنوّع في المسرحيات المصرية، ويترك الاتجاه الفكري أثرًا كبيرًا في رسمها، إن الصورة التي يرسمها الكتّاب في العالم العربي لليهود، في غالبيتهم، تبدو سلبية في المطلق، خاصة من كان ذا اتجاه قومي يغالي في قوميته أو من كان ذا اتجاه إسلامي مغال أيضًا في إسلاميته. وهكذا رأينا في جميع المسرحيات المختارة أن الكُتَّاب قدموا الجوانب السلبية أكثر من الجوانب الإيجابية.

**الخاتمة**

١- لاحظنا من خلال الدراسة المتعمقة في المسرحيات المختارة أن كُتَّابها صوروا الشخصية اليهودية دون التفريق بين المرأة اليهودية أو الرجل اليهودي.

٢- رأينا في جميع المسرحيات أن الكُتَّاب تناولوا الجوانب السلبية أكثر من الجوانب الإيجابية.

٣- وجدنا المسرحيات المختارة تدور حول الموضوعات التاريخية والسياسية والاجتماعية والدينية عن اليهود.

٤- الجوانب السلبية لليهود هي الخيانة والغدر والخوف والجبن وحبهم للمال حبًا جما، والنفاق، والظلم والاضطهاد وغيرها.

٥- وأما الجوانب الإيجابية فيها فقليلة جدًا، على سبيل المثال: ترجع أقلية قليلة منهم إلى الحق عندما تعرفه، كما نلاحظ ذلك من خلال المسرحيات.

٦- لاحظنا أن الكتّاب عندما صوروا الشخصية اليهودية صوروها من خلال قضية فلسطين، وتنازعهم مع الأنبياء والصراع القائم فيما بينهم.

٧- كل المسرحيات المختارة كُتبت باللغة الفصحى نثرًا.

٨- رأينا أن بعض المسرحيات كتبت نثرًا على الأسلوب الشعري.

٩- الحوار المستعمل في المسرحيات كان قصيرًا في جملة أو جملتين أو متوسطًا أو طويلًا جدًا يستغرق أحيانًا صفحة أو صفحتين.

١٠- عرفنا أن اليهود يحبون المال ويسعون للحصول عليه بوجه غير شرعي عن طريق المراباة وهمّهم الأول في المال جمع الذهب وهو معبودهم الحقيقي. والمال بالنسبة لليهودي غاية وليس وسيلة تستخدم لإهلاك الآخرين و القضاء عليهم.

١١- اليهود أناس يحبّون سفك الدماء ويتعطشون إليها، وسبيلهم للتخلّص من العقابات التي تصادفهم فهم يخططون لقتل الأرواح البريئة وإزهاق الأنفس من المسالمة من الأمميين من الأغيار والجويم، وهذا ما تعرّض إليه العرب في فلسطين من حرقهم و قتلهم بقنابل النابالم وما كان من مذابح في أرض فلسطين.

١٢- اليهود أصحاب هوى في تحريف وتبديل تعاليم الدين والأنظمة والقوانين.

١٣- استخدام اليهود الوسائل المختلفة لإفساد الناس والقضاء على أخلاقهم وحياتهم كاستخدام المال أو الخمر أو الحشيش، فهذا عمل اليهود في أبناء العرب بتسليط العاهرات الباغيات على الشباب وجرّهم إلى موائد القمار وتحبيذ الخمر والحشيش إليهم.

١٤- أكّد الكتّاب المصريون أن اليهود صنائع الشياطين بل هم شياطين الإنس في هذه الحياة الدنيا. هذه جملة حقائق وردت في مسرحيات الكتّاب المصريين توضِّح العلاقة الفكرية في معالجة موضوع اليهود عندهم.

١٥- أما الشكل المسرحي في مسرحياتهم فهو متشابه إلى حدٍّ بعيد عند كل الكتاب: فالمسرحية عندهم تنقسم إلى عددٍ من الفصول يتضمن كل فصل عدد من المشاهد والمناظر.

١٦- تسلسل الأحداث المكونة للمسرحيات تسلسلًا متتابعًا يربط فيها بين بداية المسرحية وخاتمتها فيما يعرف بالحبكة.

١٧- تنوُّع الشخصيات من حيث الأدوار التي تقوم بها حسب أهميتها.

## Image of Jewish Personality in Egyptian Drama

Arab scholars have been writing about the image of Jews in Arabic literature since the end of the nineteenth century. The literary description of a Jew has been conspicuous in the works of the pioneers like Tawfiq al-Hakim, Yahya Hakki, Suhayl Idris and Tayyib ╖┐li ┌. Various academic conferences held in Damascus, Aman, Beirut and Cairo also have published issued papers regarding depiction of the Jews.

There have been Arab writers who highlighted Jewish characters after the establishment of the State of Israel. They mostly wrote about the Arab Jews. Some of these novelists have been outstanding Egyptian literary figures such as Ihsan Abdul Quddus and Naguib Mahfouz. Others included Ali Ahmed Bakathir, Najib Kilani, Abdul Rahman al-Sharqawi, Muhammad Mahmoud Zaitoon, Jamal Omar and Ahmad

Tahir. These men wrote multiple books about the issues and problems of Palestine and the Jews.

There are diverse characters of Jews in Egyptian plays. The character of a typical Jew which is portrayed by the writers in the Arab world appears to be mostly negative. The writers often highlighted negative traits and characters such as treason and treachery, terrorism, oppression, injustice, hypocrisy and greed for money... etc. This paper surveys these negative literary projections of Jews in Egyptian Drama.

❋❋❋❋